جهاد جديد يحكي سيرة جيل وبلد

«العطش» رواية تتكامل خيوطها بالنسيج الوطني والمجتمعي

يغمس قلمه وشخصياته في الرغبات ثم ينحاز إلى العطش والحرمان!

| إسماعيل مروة

«العطش» رواية صدرت منذ أيام عن «دار التكوين» بدمشق للصديق جهاد جديد، وكنت قد وقفت سابقاً مع مذكرات الأستاذ جهاد السياسية التي تتناول حياته السياسية التي شارك فيها من خلال انخراطه في العمل السياسي والفكري الفعال في الحزب الاجتماعي القومي السوري، ولم أكن أعلم مشاركته الأدبية حتى وصلتني هذه الرواية، وللحق فإن الرواية كانت شائقة ومتميزة، واستطاعت أن تجذبني إليها لأتمها في جلسة واحدة، وإن كان لهذه الخصيصة أن تذكر، فإنها تذكر دلالة على البراعة والتشويق، والتمكن من عناصر الفن الروائي الذي يحتاج الكثير من الإتقان ليكون جاذباً وقادراً على توصيل الأفكار الفنية المتلاطمة في ذهن مشارك في الحياة السياسية وبفعالية، وكذلك كانت العطش، فيلماً مكتوباً أخذني من خلاله جهاد جديد إلى عوالم فيها من القدرة على التخييل ما فيها.

العطش

سألت عن المغزى من اختيار هذا العنوان، لأجد بعد الانتهاء من قراءة العمل أن العطش سمة ملازمة لكل ما في الرواية، فالأبطال عطاش للحياة والحرية والحب، من نديمة إلى نجمة إلى ليلى وهدى ومنى، فكل الشخصيات يتملكها العطش للحياة، ولا ترتوي، وحين تأتيها الفرصة للارتواء تجد عائقاً وصاداً يمنع الفرد من أن يرتوي مما يحب ويعشق، والمجتمع فيه عطش سياسي وفكري ومجتمعي واقتصادي، وقد استطاع جديد أن يقدم تفصيلات لم يقدمها الروائيون الآخرون، وما قدّمه في مجال الريجي وصناعة التبغ يعطي صورة واضحة تضاهي ما قدمه حنا مينة في المصابيح الزرق، وخاصة عندما دخل في تفاصيل الصناعة وخفايا الزراعة وما شابه.. كذلك قدّم في روايته العطش إلى الحكم الوطني بعد الاستقلال، والعطش إلى الآراء والأفكار التي تستطيع تغيير المجتمع من مجتمع بدائي إلى مجتمع عصري... ومما يحمد أن الروائي في عمله القائم على القصّ والتخييل لم يقدم ما قدمه بناء على حكايات الجدات والآباء، بل تناول حقبة تاريخية عاشها وشارك فيها، وشهد كل تفاصيلها، ابتداء من منطقة الساحل السوري وصولاً إلى حلب ودمشق، ولأنه مشارك فاعل في الحياة السياسية منذ ذلك الوقت، فقد استطاع أن يقدم صورة متكاملة عن الحياة السياسية، سواء كانت تلك الواقعة على الأرض أو تلك المتخيلة التي يحلم بها السوري بعد الاستقلال.

الحياة الاجتماعية والأفكار

قدم الروائي بيئة حقيقية تجمع بين الواقع والمتخيل، فالأرضية التي اختارها سواء في الجغرافية أو الزمن، ساعدته على تقديم شخصيات ربما التقاها وسمعها، واكتفى بالتخييل في حركة هذه الشخصيات، وهذا ما فعله مع الشخصيات التي أعطت اللون المجتمعي، وأزعم أنها كلها شخصيات حقيقية التقاها وسمعها وحاورها، ولكنه قدّمها في قالب من التخييل القصصي الذي جعل الشخصية أكثر إقناعاً وبريقاً، ومن خلال الجمع بين السياسي والاجتماعي تمكن الكاتب من تركيز آرائه بين الإدانة من دون استعمال لفظ الإدانة، والموافقة على فعل ما.. وما جلسة نديمة مع قهوتها على الشرفة واستعراضها لسيرة حياتها وسقوطها، تارة مع الخياط، وأخرى مع الفرنسي، مع ما في المشهدية من روعة وتشويق وإقناع إلا جلسة اعتراف لا ينغصها إلا إصرار نديمة بعد الرقص والشراب والقبل والرضاب والاحتضان، إصرارها على أنها لم تلوث شرفها!

«ما يخفف من قهري وندمي هو أنني توقفت عند حدود تلك الزلات، وأنني لم أفرط بعفتي ولم أدنس شرفي»!

وتتابع في المقطع ذاته:

«كل رجائي ألا تنزلق ابنتي كما انزلقت، وألا تشرب من الكأس التي شربت»!

ما بينها وبين ابنتها ضاعت حدود العفة وتدنيس الشرف، فهل ترى السيدة نديمة التي اشتق اسمها من الندم والنديم أنها لم تلوث شرفها حقاً؟! وهل يعرّف الكاتب التقدمي الشرف هذا التعريف؟! ما مفهوم الدنس والشرف؟ أم إن الكاتب يتكلم بمفهوم الأبطال، ليستطيع إكمال مسيرة الشخصية المشابهة المتممة نجمة ابنة نديمة بعد موت زوجها ابن السلوم؟

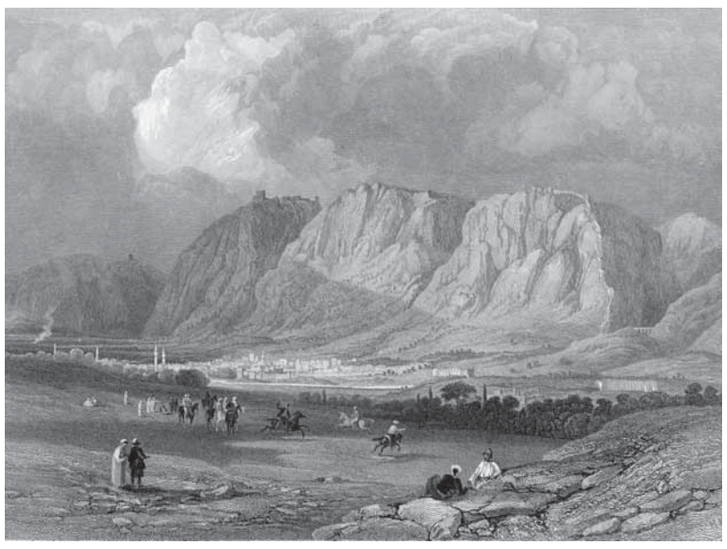

تصل نديمة ونجمة حدّ التطابق، وكل واحدة منهما نهلت ما تريد من الحياة، وغبّت من القبل، وأشبعت لهيب الجسد، لكنها لم تفعل ما يلوث شرفها، أي لم تمارس الجنس التام.. فالضابط الفرنسي الذي كان الآغا يستقبله، رقص وضم وشهق وشهقت وسحبها إلى الشرفة المعتمة، لكنها حافظت على عفتها، وربما كان الاعتراض على كلمة «عفة» تحديداً، فهي أكثر صرامة بالمعايير الأخلاقية التي لا يعترف بها الأدب.

أما ابنتها نجمة التي تمنت لها ألا تنحرف، وألا تنزلق بها القدم كما حصل معها، فقد حقق لها الكاتب ما أرادت، أحبت في طرابلس ومدرسة الراهبات، ثم عادت لتحب سيزار، وتصل معه مدىً طيباً في العشق، لكنه يغيب بمكيدة من والدها الآغا، ترتبط بالمحامي ابن السلوم البرجوازي أو الإقطاعي الذي يتفهم كل شيء ولا يعترض على شيء، وتتحول إلى أم لابنته الأولى من زوجته الراحلة، والذي يشرب معها نخب سيزار عندما يطلق سراحه!

فرنسيون كثر محتلون كانوا طيبين وضد بلادهم، لا أدري السبب إلا إذا كان سيزار أيضاً من اليسار نفسه الذي انتمت إليه الشخصيات السياسية! ويصل رامز إلى السيدة التي ما تزال جميلة، ويحصل بينهما مشهد يشابه ما حصل لنديمة مع الضابط الفرنسي، لكنها تبعده وتطرده، ومن ثم لا تجدي محاولاتها اللاحقة! أما الشاب رامز فعندما يريد تقف قناعاته بينه وبين التواصل مع المجتمع الراقي وشخصياته، وعندما يريد يقتنع بالعكس، ويمحضهم الود والحب.

أنا هنا لا أعترض على الكاتب، بل أسجل له نقطة بالغة الإيجابية، فالشخصيات من لحم ودم تتحرك أمامنا، والمبادئ لا يمكن أن تحكم الحياة الاعتيادية، لكن ما رأيته أنه كبح لجام قلمه في مواضع عديدة، فالسيدة نديمة كلما عارضت محاولات الخياط والضابط الفرنسي في القبل، أعطاها المؤلف مسوّغاً، فالآغا زوجها يقبل الأخريات وجعلها تتجاوز الأمر، وكذلك جعل الآغا يحثها على استقبال الضيوف والرقص والشرب إكراماً للانتخابات، هذا من جانب الأم، أما الابنة نجمة فقد وافق ابن السلوم على استثمار أمواله والعيش فيها رغم طوباويته، وهو يعلم أنها من أموال زراعة الحشيش، ووافقت أرملته على مبدأ الصداقة واستضافة الشباب ومرافقتهم إلى السينما والتحرش بهم وكشف الجسد أمامهم، واستدعاء رامز لاختيار ثياب لها في غرفتها!

كان من الأجمل أن يغمس الكاتب قلمه وشخصياته في الرغبات، وخاصة أن الشخصيات أوجدت المسوغات لذاتها، فلم أحجم عن ذلك؟ أظن أن المرحلة العمرية التي كتب فيها صديقي جهاد جديد هذه الرواية هي التي جعلته يقف عند حد، أظنه ليس مقتنعاً به!

وللحياة السياسية مكانها

تمور الرواية بالأحداث الحقيقية، وتغطي تقلبات منطقة الساحل في تلك الفترة، وسجل انتصار التوجه الوطني آنذاك بعدم الانفصال عن الدولة السورية، ولاسترجاع هذه المسألة اليوم دورها الكبير، وقد استطاع المؤلف أن يفضح الطبقة الإقطاعية وممارساتها من أجل السلطة والوصول إليها غير آبهة بعرف أو تقليد، دافعة إلى ذلك أبناءها وبناتها والزوجات، ومن ثم أعطى الحركات السياسية وتأسيس الأحزاب مثل القومي والبعث والشيوعي مكانة، فكانت الشخصيات الفاعلة من المنطقة في هذه الأحزاب حاضرة من زكي الأرسوزي إلى وهيب الفاضل، كما عقد المؤلف بذكاء صلات الوصل بين أبناء المنطقة والسلطة المركزية في دمشق وحلب، سواء في إظهار امتداد شبكة الفساد وزراعة الحشيش، أو في الأحزاب السياسية الجديدة وصلاتها، ومن خلال هذه الإلمامة السياسية يحار القارئ أيهما كان أسبق في الرواية؟ وأيهما هو الأساس الحياة الاجتماعية أم الحياة السياسية؟!

هل أراد الكاتب رصد المجتمع وكانت السياسة خلفية وإطاراً؟

أم هل أراد رواية سياسية والمجتمع يحتضنها؟ مهما كان الجواب فإن جهاد جديد قدم رواية «العطش» بكل جرأة وإقدام، كان واضحاً وشفافاً وواخزاً ومعرياً لحقبة سياسية في تاريخ سورية، ربما إن فهمناها نفهم الأسباب التي دفعت سورية إلى الوراء بدل التقدم!

رواية سياسية تضج بالحياة والحيوية، ورواية اجتماعية غير مبتورة عن سياقها وتاريخها.. هي رواية «العطش» فهل يستمر العطش طويلاً؟!

«سورية تولد من جديد»

بدور لـ«الوطن»: الأنثى هي الحياة.. وسورية ستعود أقوى وأجمل

ملحم: سورية جميلة وستبقى جميلة رغم دمارها وخرابها الذي خلفه الإرهاب

| وائل العدس

تحت عنوان «سورية تولد من جديد»، افتتح المصور علي بدور معرض التصوير الضوئي في المركز الثقافي بأبو رمانة، برعاية وزارة الثقافة بالتعاون مع شركة شمس للإعلام والأعمال.

وتضمن المعرض أربعة وعشرين عملاً فوتوغرافياً من الحجم المتوسط، وتضمنت اللوحات مشاهد للدمار الحاصل نتيجة الأعمال الإرهابية من عدة مدن سورية ولكن برؤية سريالية اعتمدت على وجود راقصات باليه ضمن التكوين العام للصور وهن يؤدين حركات راقصة تعبيرية تملؤها الحياة والخصب والفرح في رمزية قوية لعودة الحياة لهذه المدن بعد جلاء الإرهاب عنها وعودة أبنائها إليها ليعمروها بأيديهم وقلوبهم وبمحبة للوطن.

الشباب السوري

وأشار بدور في تصريح لـ«الوطن» إلى أن الفكرة جاءت عندما تحررت حمص من الإرهابيين وبدأت الناس بالدخول إليها، فراقصة الباليه هي سورية التي نفضت غبار الدمار والركام عنها ونهضت لتعيش ولتعيد الحياة من جديد، فالأنثى هي الحياة، وأكثر الألوان التي استخدمتها الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والتي هي ألوان العلم السوري.

وأكد أن اختيار مفردات الصورة كان يعتمد على توظيف الحركة الراقصة ضمن المشهدية المناسبة من الدمار في المدينة مع تناسق في الألوان والتكوين العام للوحة.

وبيّن أن المعرض موجه للشباب السوري بصورة خاصة كي لا يغادروا بلدهم لأنها ستعود أقوى وأجمل من السابق، وتحدث عن أهمية الصورة في ظل الأزمة التي نعيشها وخاصة في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي وما يمكنها أن تفعله في تكوين الرؤية الشخصية للجمهور وصناعة الرأي العام تجاه قضية أو فكرة محددة، موضحاً أن لديه أفكاراً متعددة ستأخذ طريقها إلى التنفيذ بعد نجاح هذا المعرض.

توثيق الإرهاب

بدورها أشارت نور ملحم رئيسة تحرير موقع «سيريا ديلي نيوز» الصادر عن شركة شمس للإعلام والأعمال إلى أننا كجهة داعمة للمعرض لامسنا الروح الفنية للفنان الشاب، فالأفكار مهمة جداً لترسيخ قيم الجمال، فهو يحكي قصة جمال كان وسيكون وسيبقى في هذا البلد، والذي تجسّد في الفتاة التي ترقص على الوجع وترقص للمستقبل الآتي بكل لوحة.

وقالت للوطن: هدفنا من هذا المعرض هو توثيق للأعمال الإرهابية بكل منطقة ومحافظة من خلال كل لوحة إضافة لإيصال رسالة واضحة وشفافة لجميع السوريين وخاصة فئة الشباب أن سورية جميلة وستبقى جميلة رغم دمارها وخرابها الذي خلفه الإرهاب، ونحن كجيل صاعد نستطيع أن نعمر ما دمر فحجر فوق حجر سورية ستولد من جديد.

أروى عمرين لـ«الوطن»: عودتي لدمشق هي رغبة للعيش والعمل فيها

| عامر فؤاد عامر

امتلكت حالة التمثيل منذ طفولتها؛ فكان الخيال يقودها لتأليف لغة التمثيل ارتجالاً، والتي أجبرت الأهل والمقربين من خلالها على الاعتراف بها كممثلة منذ الصغر، ومع مرور الوقت كانت «أروى عمرين» تقرأ تفاصيل الأشخاص وتسعى لتقليدهم في الصوت والحركات، وفي المدارس كانت لديها رغبة في تقليد مدرسيها، وفي سنّ ١٢ عاماً كتبت على حافة خزانتها في البيت «الممثلة أروى عمرين»، وبقيت هذه الحالة معها كموهبة تستعرض قسماً منها أمام الأهل وقسماً أمام المرآة لتستمتع بها وتراقب أداءها.

حلم قديم

تجربة يتيمة أثناء المرحلة الثانوية؛ في تقديم مسرحيّة مع زملائها في الدراسة، لكن وأثناء عودتها متأخرةً من البروفات شعرت بالخوف، فقرّرت ألا تخوض التجربة حينها. إلى أن انتهت من دراسة المرحلة الثانويّة فجاء دخولها للمعهد العالي للفنون المسرحيّة كإيقاظ للحلم القديم، وبتشجيع من صديقتها قررتْ الذهاب لعرض قدراتها التمثيليّة أمام اللجنة الفاحصة، وتمّ قبولها لتكون إحدى الطالبات المتميزات. وتقول الفنانة «أروى» عن مرحلة الدراسة في المعهد العالي للفنون المسرحيّة في دمشق: «أمضيت ٤ سنوات جميلة في الدراسة، وكان من الممكن استغلال هذه السنوات بصورة أكبر...».

في ساحة العمل

بَذلَتْ جهداً كبيراً في عرض التخرّج- كما زملائها- والمُتابع لعروض المعهد العالي ما زال يذكر عرض «سيليكون» الذي أخرجه الفنان «عبد المنعم عمايري»، و«حكاية السيدة روزالين» الذي أخرجه «فايز قزق». وبعد التخرج في المعهد، بدأت باقتحام الساحة الفنيّة فكانت أولى المشاركات على صعيد المسلسلات التلفزيونيّة في مسلسل «زمن البرغوث» في جزءيه الأول والثاني مع المخرج «أحمد إبراهيم أحمد» وشخصيّة «فردوس» التي أضافت عليها لمسة من الكوميديا وخفّة الظل، وكذلك كانت «هند» في مسلسل «أرواح عارية» مع المخرج «الليث حجو»، إضافة إلى مشاركتها في مسلسل «بنات العيلة» مع المخرجة «رشا شربتجي»، ولها على صعيد السينما دور في فيلم «صديقي الأخير» الذي أخرجه «جود سعيد»، وعن التمثيل تقول لنا الفنانة «أروى عمرين»: «تكمنُ مشكلتي مع المشهد الأول فقط، وبعد أدائه أكسر الحاجز وأنطلق بقوّة».

على المسرح

على صعيد المسرح لـ«أروى» تجربتها متواضعة تبعاً لقلّة فرص المسرح في واقعنا عموماً، وفي السنة الثالثة من دراستها في المعهد العالي كانت تجربتها الأولى فشاركت في مسرحيّة «كامب» مع المخرج العراقي «مهند الهادي» والتي كانت من بطولة الفنانة «نغم ناعسة»، وبعد الانتهاء من الدراسة كان لها دورها في مسرحيّة «هاملت» مع المخرج «عروة العربي».

السفر والعمل

بعدها جاء السفر خارج سورية، وخاصّة أن منطقة سكنها – مخيم اليرموك – قد تعرّضت للفوضى وعدم الاستقرار في فترة الأزمة، فانتقلت للعيش مع أهلها في بيروت، فخسرت متابعتها للعمل في سورية ولاسيما بعد ظهور القوانين الوقائيّة في منع الفلسطينيين من الدخول إلى سورية بعد خروجهم منها. لكنها تقول: «قبل صدور قوانين بمنع العودة إلى سورية عُرض عليّ العمل في خماسيّة «نجوم الظهر» في «صرخة روح» مع المخرج «ناجي طعمة» فشاركت في تصويرها، وكنت على رغبة دائمة في العمل ضمن البلد الذي علّمني واحتضنني ولكن كانت الظروف أن بقيت الفترة الماضية كلّها في بيروت حتى اليوم، فلم يتسنَ لي المشاركة إلا في عملين مسرحيين، الأوّل مسرحيّة «تكي كارديا» بنصّها الفرنسي وكان الإخراج لـ«جميل أرشيد» وقد شارك في العرض كلّ من الفنانين «أويس مخللاتي»، و«بتول محمّد»، و«ميّار ألكسان» والإشراف للفنان «مكسيم خليل» وعرضناه في مسرح «بابل» في بيروت، أمّا العرض الثاني – الذي لم يتسنّ لنا عرضه للجمهور بسبب مشكلة إنتاجيّة – فكان مع المخرج «جواد الأسدي» وقمنا بكل البروفات مع الفنان «فايز قزق» والفنان «أويس مخللاتي» وقد تمّ تأجيل العرض لمرحلةٍ قادمة.

العودة

اليوم تعود الفنانة «أروى» لدمشق من جديد لتستعيد نشاطها السابق، مقرّرة البقاء فيها إلى أجل غير مسمّى، فهناك عروض مهنيّة لم يتقرّر وضعها فيها بعد، إضافة إلى رغبتها في المكوث في الوطن الذي تعتبره المكان الذي فيه وبه بدأت رحلتها الفنيّة ولا مجال للابتعادِ عنه.